«نحو معجم عربي موحّد لمصطلحات الأدب والنقد»

أ، د. عبد النبي اصطيف

أقواس

«إن الشكوى من «إشكالية المصطلح» ستظل مادام المعجم النقدي الحديث بعيداً عن التحقيق، وسيظل الأدباء والنقاد والمؤلفون والمترجمون في نقاش لا يوصل إلى السبيل القويم ماداموا لا يفكرون في مثل هذا العمل الجاد الذي يفتح الطريق أمامهم ويجعلهم يصدرون في دراساتهم وبحوثهم وترجماتهم عن منهج موحد فيه الدقة ووضوح الرؤية».

د. أحمد مطلوب

معجم النقد العربي القديم، ١٩٨٩

«إن التفاهم بألفاظ متبدلة المعاني أصعب من التعامل بنقود متبدّلة القيم. فلابدّ للعلماء إذن من الاتفاق على معاني الألفاظ، ولابد لهم من تثبيت الاصطلاحات العلمية حتى لا تتبدل الحقائق بتبدل الألفاظ التي أفرغت فيها . إن الألفاظ حصون المعاني وتثبيت الاصطلاحات العلمية هو الحجر الأساسي في بناء العلم. فإذا أقيم هذا البناء على أساس متحرك، لم يبلغ الغاية التي أنشئ من أجلها ».

د. جميل صليبا

المعجم الفلسفي، ١٩٨٩

«إن دقة ألفاظ لغة ما، ووضوح مفاهيمها من دقة تفكير المتكلمين بها، والوضوح الذي تتطلبه أذهانهم. والوضوح والدقة هذان منطلق كل معرفة صحيحة»

د. أمجد طرابلسي ،١٩٨٢

* * *

وُلِد النقد الأدبي العربي الحديث في حضن المواجهة مع «الآخر» "the other"- الغربي، ليتدبّر بالشرح والتحليل والتفسير والموازنة والحكم:

- نتاجاً أدبياً نشأ ونما وترعرع في المجتمع العربي الحديث في ظل المواجهة نفسها مع هذا «الآخر»؛

- نتاجاً أدبياً قديماً انبثق ونما وازدهر في مجتمع - أو مجتمعات - عربي إسلامي مباين في كثير من وجوهه للمجتمع العربي الحديث، وكان باستمرار خاضعاً لتجارب متنوعة من التفاعل مع «آخر» العصور المنصرمة.

وهكذا وجد هذا النقد نفسه يستلهم تجارب «الآخر» الأدبية والنقدية، ويسعى إلى توظيف حصيلة تفاعله معها في مقاربته لنصوص الأدب العربي قديمها وحديثها، وبات موزعاً بين هذه التجارب التي تنطوي عليها مواريث «الآخر» وتقاليده الأدبية والنقدية من جهة، وبين الموروث الأدبي والنقدي العربي العريق، الممتد نحواً من خمسة عشر قرناً

على الأقل، من جهة أخرى.

وكان من الطبيعي لهذا النقد أن يستمد من تقاليده الموروثة ومن تقاليد «الآخر» في آن معاً مصطلحه وأدواته وإجراءاته وطرقه ومناهجه، مما أوقعه في جملة من المشكلات التي انعكست في الممارسات النقدية العربية الحديثة في صور شتى، فتجلّت حيناً اضطراباً في المصطلح النقدي شمل الدال والمدلول والمحددات فيه؛ وتبدّت حيناً آخر تنكّراً لطبيعة النص العربي المدروس الذي يفترض فيه أن يملي على دارسه النحو الأمثل في مقاربته؛ ووشت بنفسها حيناً ثالثاً جهلاً بالتقاليد الأدبية والنقدية التي أفرزت المفاهيم النقدية التي يوظفها الناقد العربي الحديث في مواجهته لنصوص أدبه القديمة والحديثة؛ وأبانت عن نفسها حيناً رابعاً غفلةً تامةً عن آليات التطور في الآداب القومية المدروسة؛ وكشفت عن ضيق أفقها حيناً خامساً حين تجاهلت، وعلى نحو بعيد كل البعد عن الحكمة، سياق التفاعل– بين مختلف آداب «الآخر» ومواريثه وبين الأدب العربي في مختلف العصور والأمصار– الذي تمت فيه عملية الإنتاج الأدبي في المجتمع العربي عبر مختلف الأزمنة والأمكنة، وغير ذلك من الصور التي يلاحظها المرء بسهولة في هذه الممارسات والتي تناقش عادة في المؤتمرات والندوات والأبحاث تحت عناوين من مثل «أزمة ...» و«مشكلات» و«إشكالات» و«إشكاليات» وما شابهها.

ولما كانت اللغة في الممارسة النقدية أداة تفكير مثلما هي أداة إفصاح وتعبير، فإن في سلامتها ضماناً لسلامة الممارسة النقدية ذاتها؛ ولما

كان النقد الأدبي – بممارساته المختلفة – يقوم على الحوار بين الناقد والنص، بين الناقد والكاتب، بين الناقد والمتلقي، فإن من الأهمية بمكان تيسير أداة مشتركة لهذا الحوار حتى يكون مجدياً ومثمراً يحقق ما يُرجى منه من تطوير للإنتاج الأدبي وما يتصل به من عمليات؛ ولما كانت لغة النقد أساساً مجموعة مصطلحات "terms" تشير إلى مجموعة «أفكار» "notions" ومفاهيم "concepts"، فإن من الحكمة السعي إلى توحيدها عن طريق وضع معجم عربي موحد للمصطلحات الأدبية والنقدية العربية سواء منها القديمة أم الحديثة، ييسّر للعاملين في ميدان الأدب، إنتاجاً واستهلاكاً، أداة مشتركة في التفكير والتعبير والحوار، تتيح تطوير هذا الحقل المعرفي المهم جداً في الحياة الإنسانية وهو حقل «النقد الأدبي»، الذي بات اليوم، وفي مختلف ثقافات المجتمعات الحيّة المعاصرة، حجر الأساس في بناء فكرها، لما يقدّمه من أمثلة ونماذج تحتذى في الحياة عامة، وفي المعارف الإنسانية المختلفة بشكل خاص، فضلاً عن تسهيله عملية مواجهة الإنتاج الأدبي مواجهة مجدية تكفل تذوقه وفهمه من جانب القارئ، وتساعد على تطوّره وتقدّمه من جانب الكاتب.

* * *

وقد حفزت الرغبة في تيسير هذه الأداة المشتركة في التفكير والتعبير والحوار بين صفوف العاملين في ميدان النقد الأدبي العربي الحديث جملةً من مختلف ضروب النشاطات والجهود العلمية الجادة التي انصرفت إلى العناية بالمصطلح الأدبي والنقدي في الثقافة العربية الحديثة

ولاسيما في ربع القرن الأخير. وقد شملت هذه الجهود عقد المؤتمرات والندوات العلمية، وإعداد الرسائل الجامعية ونشرها، وإصدار الأعداد الخاصة من الدوريات، وتأليف الكتب وكتابة المقالات، فضلاً عن تأليف المعاجم الخاصة بهذا المصطلح. ولما كان على أي مسعى نحو تأليف معجم عربي موحد لمصطلحات الأدب والنقد أن يفيد من هذه الجهود ويطوّرها ويوظفها في تحقيق غايته، فربما كان في الإشارة المقتضبة إليها بعض الفائدة للعاملين في هذا الميدان.

فأما في مجال عقد المؤتمرات والندوات العلمية فإنه يمكن الإشارة إلى «**ندوة المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم**» التي انعقدت في رحاب كلية الآداب والعلوم الإنسانية في **جامعة سيدي محمد ابن عبد الله** بفاس في الفترة ما بين ٢٠ و٢٢ من شهر تشرين الثاني عام ١٩٨٦، وشارك فيها نخبة من مشرق الوطن العربي ومغربه وظهرت وقائعها في مجلد صدر في عدد خاص من مجلة الكلية عام ١٩٨٨[1]؛ وإلى **مؤتمر النقد الأدبي** الذي ينعقد دورياً في **جامعة اليرموك** والذي خصص مؤتمره الخامس الذي عقد بين ١٤ و١٥ من شهر حزيران عام ١٩٩٤ لـ «**المصطلح في الأدب والنقد واللغة**» وشارك فيه كذلك عدد من المعنيين بقضايا المصطلح من مختلف الجامعات العربية في مختلف الأقطار العربية؛ وإلى «**مؤتمر قضايا المصطلح**[2]» الذي استضافته **جامعة تشرين** في اللاذقية في الفترة ما بين ٢٨ و٣٠ من شهر نيسان عام ١٩٩٨، وينتظر أن تظهر بحوثه ومناقشاته في مجلد تنشره كلية الآداب والعلوم

الإنسانية في وقت قريب؛ وإلى «**مؤتمر قضايا المصطلح الأدبي**» الذي نظمته لجنة الدراسات الأدبية واللغوية في **المجلس الأعلى للثقافة** في جمهورية مصر العربية في الفترة ما بين ١٦ و٢٠ من شهر أيار عام ١٩٩٨[٣]، وحضره نخبة من المتخصصين في النقد العربي قديمه وحديثه من مختلف أنحاء الوطن العربي فضلاً عن عدد كبير من المشاركين العرب والأجانب من خارج الوطن العربي ولاسيما أوربة الغربية والولايات المتحدة الأمريكية وكندا وغيرها، ومن المتوقع أن تنشر مجلة «**فصول في النقد الأدبي**» الرصينة بحوث المؤتمر المهمة في سلسلة من الأعداد الخاصة .

والملاحظ أن جميع هذه المؤتمرات قد اقترحت في توصياتها نشر معجم عربي موسوعي موحّد لمصطلحات[٤] الأدب والنقد ييسّر لغة مشتركة في التفكير والتعبير والحوار في قضايا الأدب والنقد في الثقافة العربية المعاصرة، تحلّ الكثير من مشكلات الممارسات النقدية في المجتمع العربي الحديث.

وأما في مجال إعداد الرسائل الجامعية ونشرها، فيمكن أن يُشار إلى الجهود الرائدة التي قام بها الأستاذ الدكتور أمجد الطرابلسي والعديد من تلامذته من أمثال الدكتور الشاهد البوشيخي والدكتور إدريس الناقوري وغيرهما في هذا المجال، والتي كان لنا من حصيلتها عدد كبير من الرسائل الجامعية التي نشر بعضها من مثل رسالة الدكتور البوشيخي الموسومة بـ «**مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبين**

للجاحظ»[٥] ورسالة رصيفه الدكتور الناقوري الموسومة بـ «**المصطلح النقدي في نقد الشعر: دراسة لغوية، تاريخية، نقدية**»[٦] اللتين أصبحتا أنموذجاً يحتذى ويستلهم في مغرب الوطن العربي ومشرقه؛ وهاهي الرسائل الجامعية التي تنصرف إلى دراسة المصطلح النقدي في كتب الموروث العربي النقدي تسجل وتناقش في مختلف الجامعات العربية بإشراف أساتذة شهدوا باهتمامهم بهذا الضرب من البحث من أمثال الطرابلسي، والبوشيخي، والناقوري المتقدم ذكرهم والعياشي السنوني ورشيد بلجيب وحمادي صمود وعبد الرحيم الرحموني[٧] وغيرهم كثير.

وأما في مجال إصدار الأعداد الخاصة من الدوريات فثمة العدد الخاص الذي أصدرته مجلة **كلية الآداب والعلوم الإنسانية** بفاس عام ١٩٨٨ وضمنته البحوث المقدمة إلى «**ندوة المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم**» والذي غدا مرجعاً مهماً لقضايا المصطلح النقدي في الثقافة العربية الحديثة؛ وهناك العدد الخاص الذي أصدرته **مجلة الفكر العربي المعاصر** (التي يصدرها **مركز الإنماء القومي** في بيروت) عام ١٩٨٨ وخصصته لـ «**النقد والمصطلح النقدي**»[٨] وضم عدداً من المقالات المؤلفة والمترجمة في شؤون المصطلح وقضاياه، بما كان من أبرزها مقالة «ما الأدب؟»[٩] لرينيه ويليك الذي يتتبع فيها تطور المصطلح دلالياً في مختلف التقاليد النقدية الغربية على مدى يتجاوز ألفي العام ويناقشه من منظور مقارني. وفضلاً عن هذين العددين ثمة العدد الخاص الصادر عن مجلة «**علامات في النقد الأدبي**»[١٠] عام ١٩٩٣ وضم

مجموعة مباحث ومقالات جادة لكل من عبد السلام المسدي وعز الدين إسماعيل وحمادي صمود وعبد الواحد لؤلؤة وتوفيق الزيدي ومحمد عبد المطلب ومحمد النويري ومحمد صالح الشنطي ومحمد محمد حلمي هليل، وتصدرته ندوة عن قضية المصطلح العلمي شارك فيها حمزة قبلان المزيني الذي قدّم ورقة عملها، وعبد الله الغذامي، وحسين عطية طحان، ومعجب سعيد الزهراني ومنير أحمد التريكي فضلاً عن سعيد مصلح السريحي الذي أدارها. ولا ينسى المرء أن يشير في هذا السياق إلى العديد من المقالات المتفرقة في مختلف الدوريات العربية لباحثين عرفوا باهتمامهم بقضية المصطلح من أمثال عبد السلام المسدي وخلدون الشمعة وعبد القادر القط[١١] وصاحب هذه السطور[١٢].

وأما في مجال تأليف الكتب فحسب المرء أن يذكر - فضلاً عن مؤلفي الشاهد البوشيخي وإدريس الناقوري المتقدم ذكرهما - **كتاب المنهج والمصطلح: مداخل إلى أدب الحداثة** لخلدون الشمعة[١٣]، **ومصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين**[١٤]، **ونصوص المصطلح النقدي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين**[١٥]، للشاهد البوشيخي، **والمصطلح النقدي**[١٦] لعبد السلام المسدي، **واللغة الثانية: في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث**[١٧]لفاضل ثامر، **ومفاهيم الشعرية**[١٨] لحسن ناظم، ليدلّل على أهمية قضية المصطلح لدى العاملين في ميدان النقد العربي الحديث.

ولا ينسى المرء الإشارة إلى صنيع غدا تقليداً لازماً لدى

المترجمين العرب الجادين الذين بـاتوا يلحقـون ترجمـاتهم لعيـون الكتـب النقدية الغربية بمسارد للمصطلحات التي استعملوها في ترجماتهم، بـل إن بعضهم جعل من توليد المصطلح النقدي قضية مهمة إلى درجة تدفعـه إلـى مناقشتها في خاتمة تقديمه للترجمة، كما فعل الدكتور كمال أبو ديب في خاتمـة مقدمتـه الضافيـة لترجمتـه[١٩] اللافتـة للنظـر لكتـاب **الاستشـراق** لادوارد سعيد، والتي قـدّم فيهـا اجتهـادات جريئـة جـداً فـي هـذا المجـال ولاسـيما فـي مسألة استعمال السـوابق واللواحـق والنحـت وغيرهـا فـي الترجمة عن الانكليزية.

وفضلاً عما تقدم من الجهود المتنوعة التـي انصرفـت إلـى العنايـة بالمصطلح النقدي والأدبي بغرض إشاعة هذه الأداة المشتركة فـي التفكـير والتعبير والحوار بين العاملين في ميدان النقد الأدبي العربي الحديـث، فـإن مما يثلج الصدر حقاً أن يرى المرء بعض الجامعـات العربيـة تنشـئ معـاهد خاصة لدراسة المصطلح والبحث فيه كما هو الشأن في «**معهد الدراسات المصطلحيـة**» التـابع لكليـة الآداب والعلـوم الإنسـانية فـي **جامعـة سـيدي محمد بن عبد الله**، في مدينة فاس المغربيـة، والـذي أنشـئ عـام ١٩٩٣، تتويجاً لجهود مخلصة مشـكورة قـامت بهـا نخبـة مخلصـة مـن البـاحثين العرب المغاربة كان من أبرزهم الدكتور الشـاهد البوشـيخي تلميـذ العـالم الجليـل وعضـو مجمـع اللغـة العربيـة بدمشـق الأسـتاذ الدكتـور أمجـد الطرابلسي. وكان تأسيس «**مجموعة البحث في المصطلح النقدي**» عـام ١٩٨٥ في الكلية نفسها بداية هذه الجهود. وقـد قـامت هـذه المجموعـة

بتنظيم ندوة دولية بعنوان «**المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم**» عام ١٩٨٦، دعت من بين ما دعت إلى التنسيق بين مراكز البحث المصطلحي «حفظاً» لطاقات الأمة وأوقاتها وأموالها» وأكدت أن «الجهود الفردية والجماعية في ميدان المصطلح ينبغي أن تتقوى وتتكامل لتصب في اتجاه واحد» ونادت في توصيتها الخامسة بـ «إنشاء جمعية عربية للمصطلح النقدي» يكون مقرّها فاس. وتتابعت الجهود بعد ذلك إلى أن «ولد بكلية الآداب - ظهر المهزار بفاس «**معهد الدراسات المصطلحية**» في السادس من ذي الحجة من عام ١٤١٣هـ الموافق للثامن والعشرين من شهر أيار من عام ١٩٩٣، «بعد مخاض طويل أسهم فيه رجال ومجموعات للبحث في المصطلح بعديد من الكليات بالمغرب».

وإن لمما يبعث على الغبطة أن يرى المرء، وهو يتبع أخبار هذا المعهد الواعد النشيط، الندوات العربية والدولية تنظم بمبادرة منه، والدورات التدريبية تقام فيه، والأيام الدراسية، والمدارسات العلمية، تعقد في رحابه، وأن يراه ينشر الأدلة من مثل «**دليل معهد الدراسات المصطلحية**» و«**دليل الباحث الناشئ في المصطلح**»، ويصدر أعمال الندوات المتصلة بالمصطلح، ويتولى القائمون عليه الإشراف على الرسائل العديدة المتصلة بالمصطلح، فضلاً عما ينشرون هم أنفسهم من بحوث ومقالات وكتب، وغير ذلك من نشاطات يستطيع المرء متابعتها في نشرة المعهد الدورية الموسومة بـ «**أخبار المصطلح**» التي ترصد كل ما يتصل بالمصطلح من أخبار ونشاطات ومنشورات في الوطن العربي وخارجه[٢٠].

وأما تأليف معاجم خاصة بالمصطلح الأدبي والنقدي، فربما كان من أقوى المؤشرات إلى خطورة قضية توحيد المصطلح في نظر العاملين في ميدان النقد العربي القديم والحديث على حد سواء. ولعله بدا لهم الوسيلة الأكثر فاعلية في مواجهة واحدة من مشكلات هذا النقد وهي مشكلة أداته من حيث دقتها ووضوحها واتساعها وفاعليتها في تدبر وجوه العملية الأدبية، والتصدي لمختلف مستويات النص الأدبي العربي قديمه وحديثه.

وقد تيسّر للقارئ العربي نتيجة هذا الاهتمام بهذه الوسيلة نحو من بضعة عشر معجماً للمصطلحات الأدبية والنقدية انصرف معظمها إلى العناية بالمصطلحات المستلهمة من التقاليد النقدية المتصلة بـ «الآخر» الغربي، في حين التفت أقلها إلى المصطلح العربي الأدبي والنقدي القديم.

فأما المعاجم التي انصرفت إلى المصطلحات الأدبية والنقدية العربية الحديثة والمستلهمة من مواريث «الآخر» الأدبية والنقدية فيبلغ عددها عشرة ظهرت على مدى نحو من ربع قرن، صدر من بعضها أكثر من طبعة، ولبّت إلى حدّ ما حاجة واسعة المدى بين صفوف المعنيين بعملية الإنتاج الأدبي. وهي تضم فيما تضم:

١ – «**من اصطلاحات الأدب الغربي**»[٢١] للدكتور ناصر الحاني، والذي صدر عام ١٩٥٩، وقد ظهرت منه طبعة ثانية تحت عنوان «**المصطلح في الأدب الغربي**» عام ١٩٦٨، لم تحقق تقدماً ملحوظاً على سابقتها، خلا حذف بعض المداخل، والتنقيح الصناعي لبعضها الآخر؛

٢- «**معجم مصطلحات الأدب**»[٢٢] للدكتور مجدي وهبة والذي صدر عام ١٩٧٤؛

٣- «**معجم لمصطلحات النقد الحديث: قسم أول**»[٢٣]للدكتور حمادي صمود الذي نشر على صفحات **حوليات الجامعة التونسية** عام ١٩٧٧؛

٤- «**معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**»[٢٤] للدكتور مجدي وهبة وكامل المهندس والذي صدر أول ما صدر عام ١٩٧٩، ثم ظهرت منه طبعة موسعة ومنقحة عام ١٩٨٤[٢٥]، حققت تقدماً ملموساً على سابقتها.

ويتميز هذا المعجم عن سابقيه باهتمامه بالمصطلحات الأدبية والنقدية العربية القديمة والحديثة فضلاً عن مصطلحات علوم اللغة العربية؛

٥- «**المعجم الأدبي**»[٢٦] للدكتور جبور عبد النور الذي صدر عام ١٩٧٩؛

٦- «**معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة**»[٢٧] للدكتور سعيد علّوش الذي ظهر عام ١٩٨٤، وأعيد طبعه ونشره عام ١٩٨٥ في مغرب الوطن العربي ومشرقه[٢٨]؛

٧- «**معجم المصطلحات الأدبية**»[٢٩]، لإبراهيم فتحي الصادر عام ١٩٨٦

٨- «**قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية**»[٣٠] للدكتور إميل

يعقوب والدكتور بسام بركة ومي شيخاني والذي صدر عام ١٩٨٧، والذي يعنى أيضاً بالمصطلحات اللغوية إلى جانب عنايته بالمصطلحات الأدبية كما يشير إلى ذلك عنوانه نفسه؛

٩- «**دليل الناقد الأدبي: إضاءة لأكثر من ثلاثين مصطلحاً وتياراً نقدياً أدبياً معاصراً**»[٣١] للدكتورين ميجان الرويلي وسعد البازعي، والصادر عام ١٩٩٥؛

١٠- «**المصطلحات الأدبية الحديثة**»[٣٢] للدكتور محمد عناني والذي صدر عام ١٩٩٦.

وأما المعاجم التي خصت بعنايتها مصطلحات النقد العربي القديم وما اتصل به من علوم مساعدة ولاسيما البلاغة العربية القديمة فلم يعن بها غير فارسين أولهما الدكتور أحمد مطلوب الذي أصدر بداية كتابه «**مصطلحات بلاغية**» عام ١٩٧٢، وتعرض فيه لخمسة منها هي الفصاحة والبلاغة والمعاني والبيان والبديع، ثم نشر بين عامي ١٩٨٣ و١٩٨٧ مؤلفه الضخم «**معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها**»[٣٣] في ثلاثة أجزاء، وما لبث أن عاوده بالتنقيح والمراجعة وأعاد نشره في مجلد واحد أخرجته في حلة جديدة وطبعة مجلدة دار مكتبة لبنان في بيروت عام ١٩٩٦. وإذ خصّ معجمه هذا بالمصطلحات البلاغية فقد جرّده من مصطلحات النقد إلا ما ذكرته كتب البلاغة، ولكنه وبعد أن ارتفعت صيحة «**إشكالية المصطلح النقدي**» عاد إلى هذه المصطلحات عام ١٩٨٩، وجمعها، وأخرجها لقراء العربية في مجلدين ضخمين حملا عنوان «**معجم النقد**

العربي القديم»[٣٤] وضما نحواً من ثمانمائة مصطلح نقدي قديم، فتوج بذلك عملاً استغرقه سنوات طويلة، وأراد - فيما يبدو - أن يمهّد الطريق به لوضع «المعجم النقدي في وقت تعدّدت فيه المناحي واختلفت الآراء، وأصبح الرجوع إلى معجم موحد ضرورة ملحة، ليصدر الباحثون عن منهج واضح»[٣٥]، ولذا نراه يكتب في التقديم لمعجمه الثاني:

«وكان المعجمان ثمرة عمل طويل استغرق أعواماً، وقد أريد بهما رسم الطريق لوضع معجم نقدي بلاغي معاصر يكون مرجعاً للنقاد ومصدراً للباحثين بعد أن ظل المصطلح النقدي والبلاغي بعيداً عن المجامع اللغوية والمؤسسات العلمية»[٣٦].

ويضيف فيما بعد:

«إن صدور المعجمين دعوة مخلصة إلى وضع المعجم النقدي الحديث، وإذا كانا قد وقفا عند القديم فذلك ما أريد لهما، ليكونا منطلقاً لا رسوماً تقيّد الخطا»[٣٧].

وأما ثاني هذين الفارسين فهو الدكتور بدوي أحمد طبانة الذي تحدث بإسهاب عن تجربته في صناعة **معجم البلاغة العربية** في مقالة نشرها في مجلة **الفيصل** (الرياض) عام ١٩٩٤، وذكر فيها أنه قضى في صناعته نحواً من ربع قرن، وأنه تعاقد عام ١٩٧٤ على طبعه ونشره مع جامعة طرابلس الليبية، وأنّ طبعة ثانية منه قد صدرت في الرياض عام ١٩٨١، وأن طبعة ثالثة قد ظهرت عام ١٩٨٨. و"كانت جملة المطبوع في تلك الطبعات الثلاث خمسة عشر ألف نسخة. وكان مجموع ما

اشتملت عليه الطبعة الأولى ٩٠٣ من الفنون والمصطلحات، ووصلت في الطبعة الثانية إلى ٩٢٦، وفي الثالثة إلى ٩٤٥، وتصل في الطبعة الرابعة إلى ٩٠٧ إن شاء الله" على حد قوله(*). ولكن من المؤسف أن صاحب هذه السطور، على الرغم من سعيه، لم يعثر على أية نسخة من هذه الطبعات الأربع في مكتبات القطر العربي السوري.

والناظر إلى ما تقدّم من معاجم خاصة بالمصطلح النقدي الأدبي والبلاغي في الثقافة العربية يستطيع أن يتبين بسهولة أنها ما زالت بعيدة عن طموح العاملين في ميدان النقد الأدبي الحديث ولم تسهم الإسهام المرجوّ في توفير اللغة المشتركة فيما بينهم، ولما كان صاحب هذه السطور قد قدّم في موضع آخر تقويماً مفصلاً للمعاجم الخاصة بالمصطلحات الأدبية والنقدية الحديثة والمستلهمة من تقاليد «الآخر» الغربي، فإنه يمكن أن يكتفي بالإشارة إلى أن هذه الجهود:

«مهمة ومفيدة، ولكن الغالب على معظمها أنه جهد فردي، بعيد، للأسف ، كل البعد عن عمل الفريق الخبير، الذي يقوده مخرر خبير، قادر، تدعمه مؤسسة علمية عريقة، ويتوجه إلى جمهور واسع من المعنيين بالعملية الأدبية إنتاجاً واستهلاكاً. وعندما يتذكر المرء ما يتيسر للباحث

(*) انظر على أي حال

د. بدوي أحمد طبانة، "تجربتي في صنعة معجم البلاغة العربية"، **الفيصل** (الرياض)، العدد (٢٠٨)، شوال ١٤١٤ هـ، مارس – أبريل ١٩٩٤، ص ص (٦٧ – ٧٠)، ولا سيما ص (٧٠).

العربي عامة (باستثناء دول مجلس التعاون الخليجي) في أي ميدان من تسهيلات بحثية ومعرفية، فإنه لا يمكن إلا أن يتواضع في توقعاته من الجهود الفردية، ويشفق على أصحابها مما سعوا إلى النهوض به من جهة، ويكبر من جهة أخرى جهودهم، ويشدّ على أيديهم، لأن هذه الجهود يحركها الإيثار والغيرية»[٣٨].

أما بالنسبة إلى جهد الدكتور مطلوب، ففضلاً عن كونه جهداً فردياً، فإنه جهد أحادي النظرة ذلك أنه لأمر ما، لم أكد أتبينه أو أتبين الحكمة من الإصرار عليه، انطلق في كل ما قام به من اعتقاد مفاده أن «المصطلح النقدي القديم عربي أصيل»[٣٩] لم يُفد أية فائدة من التقاليد النقدية المعاصرة له، أو السابقة، وهو اعتقاد غريب في ضوء التاريخ الطويل لتفاعل الأدب العربي عبر العصور مع الآداب الأخرى (كالأدب الأمهري، والفارسي، والسرياني، والهندي، والبيزنطي، والروماني، أو اللاتيني، واليوناني، والإسباني، وغيرها)، وكيف لأدب يتفاعل على نحو خلاّق مبدع مع جميع هذه الآداب ولا يفيد دارسوه من التقاليد النقدية المتصلة اتصالاً عضوياً بهذه الآداب في دراستهم له. والحقيقة أن تجربة الأدب العربي الحديث في تفاعله مع الآداب الغربية تفضي إلى اعتقاد مضادّ تماماً لما ذهب إليه الدكتور مطلوب ذلك أن التفاعل في ميدان الإنتاج الأدبي لابد أن يترافق مع تفاعل في ميدان الفكر النقدي ولابد أن يتجلّى ذلك في المصطلح الأدبي والنقدي على نحو ما، وهو أمر طبيعي جداً، وليست العبرة في كون المصطلح عربياً، إذ لابد أن يشير إلى مفهوم

عربي صرف حتى نستطيع أن نزعم أنه مصطلح عربي أصيل. فمصطلح «أدب» عربي دون شك، ولكنه يشير إلى مفهوم تطوّر عبر العصور نتيجة تفاعل الثقافة العربية مع الثقافات الأخرى، وبالتالي فإن مفهوم «الأدب» اليوم لا يمكن أن يتضح دون أن يكون دارسه على وعي تام بتطوره هذا الذي حفرته اتصالات الأدب العربي بالآداب الأخرى على مدى أكثر من خمسة عشر قرناً. ومطلوب نفسه يكتب في خاتمة تقديمه **لمعجم النقد العربي القديم:**

«ولن يكون هناك مصطلح عربي إن لم يتوفر عليه رجال يحملون من الثقافة العربية والثقافة الأجنبية ما يجعلهم قادرين على القول الفصل وصادرين عن أصالة وتفكير عميق في وضع المصطلحات»[٤٠].

وباختصار إن جميع ضروب النشاطات والجهود العلمية المتقدم ذكرها من مؤتمرات وندوات علمية، ورسائل جامعية عديدة، وأعداد خاصة تصدرها المجلات الرصينة، وكتب ومقالات، ومعاهد خاصة بدراسة المصطلح، ومعاجم خاصة به، تنطوي على رغبة حميمة في تجاوز المشكلات التي تنجم عن اضطراب لغة التفكير المنظم في عملية الإنتاج الأدبي في المجتمع العربي الحديث، وهي تشير جميعاً إلى ضرورة القيام بصنع معجم موسوعي موحد شبيه **بموسوعة برنستون الجديدة للشعر والشعرية** (الصادرة عام ١٩٩٣)، **أو بموسوعة النّظرية الأدبية المعاصرة: مقاربات، باحثون، مصطلحات** (الصادرة عام ١٩٩٣)، **أو بدليل جونز هوبكنز للنظرية الأدبية والنقد**[٤١] (الصادر عام ١٩٩٤) أو بقاموس

للنظرية الثقافية والنقدية[٤٢] (الصادر عام ١٩٩٦) أو ما شابهها، يضم في طياته مجموعة وافية من المقالات المركزة عن المصطلحات الأدبية والنقدية توضح المفاهيم والأفكار الرئيسية والأساسية في هذا الحقل المعرفي المهم، ولا يكتفى فيه بمجرد إيراد المصطلح العربي وقرنه بنظيره الأجنبي في اللغات الأكثر شيوعاً أو بالشرح الموجز البسيط لمحتواه ودلالته.

* * *

ولكن كيف السبيل إلى تأليف معجم عربي موسوعي موحّد لمصطلحات النقد والأدب؟

يبدو لي أن الأمر يتطلب جملة خطوات لابد منها تشمل فيما تشمل:

١- **إعداد ثبت بمداخل المعجم الموسوعي** يستند إلى:

أ - المداخل الواردة في المعاجم المتقدم ذكرها

ب- المداخل الواردة في معاجم التقاليد الأدبية والنقدية التي كان الأدب العربي ولازال على تفاعل حميم معها وهي كثيرة وقد تقدمت الإشارة إلى بعضها ويمكن إضافة معاجم أخرى ولاسيما أن التقاليد الأدبية الحيّة تقدّم باستمرار الجديد في هذا الحقل.

ج - المداخل الواردة في المعاجم الاختصاصية للعلوم الإنسانية والاجتماعية واللغوية من مثل اللسانيات، وعلم النفس، وعلم

الاجتماع، وعلم الاقتصاد، والسياسة، والأنتروبولوجيا، والدراسات الإعلامية والثقافية عامة، فضلاً عن الفلسفة والدراسات الفكرية.

د – المداخل الواردة في المعاجم الخاصة بالفنون الجميلة ولاسيما تلك التي تحتفظ بعلاقة وثيقة بالأدب. ولا ننسى أن الكثير من المذاهب الفنية الكبرى والمدارس والتقنيات تجاوزت الحدود الفاصلة بين هذه الفنون.

هـ– المداخل المتصلة بعلاقة الأدب بالمعارف العلمية المختلفة من مثل علم الفلك، والمحيطات، والطب والصيدلة والهندسة الوراثية وسواها مما تتطلبه دراسة الآثار الأدبية إلى ما يسمى بأدب الخيال العلمي.

٢– **إعداد مداخله:** وينبغي أن يستند إعداد مداخل هذا المعجم الموسوعي إلى:

أ – المعاجم الخاصة بالمصطلح الأدبي والنقدي التي تمت الإشارة إليها سابقاً.

ب– المعاجم الخاصة بالمصطلح الأدبي والنقدي في التقاليد الأدبية والنقدية التي تواصل معها الأدب العربي عبر العصور.

ج– الموسوعات الأدبية العامة المتيسرة في مختلف اللغات والثقافات من مثل:

– موسوعة كاسيل للأدب العالمي؛

- موسوعة الأدب والنقد؛

- رفيق بنغوين للأدب وغيرها

د - الموسوعات الأدبية والنقدية الخاصة بمختلف الآداب القومية العالمية ولا سيما كتب الأدلة والكتب المرافقة لأدب ما من مثل Oxford Companion أو Cambridge Guide وما شابههما.

هـ- الموسوعات الفنية الخاصة بمختلف الفنون الجميلة القومية.

و - الموسوعات الخاصة بالثقافة العربية والتي أصدرها المستشرقون من مثل «**موسوعة الإسلام**» أو «**موسوعة الأدب العربي**» أو «**موسوعة أكسفورد للعالم الإسلامي الحديث**» وغيرها.

ز - مختلف الدراسات المتصلة بالنقد العربي القديم والحديث، سواءً أأنجزها العرب أم غيرهم، وهي كثيرة ومفيدة وتوفر الكثير من الوقت والجهد على المسهمين في هذا المعجم.

ح - مختلف تواريخ الأدب العربي الميسورة باللغة العربية وسواها من اللغات ولاسيما المؤلف الجمعي الممتاز الذي أصدرته مطبعة جامعة كامبريدج تحت عنوان «**تاريخ كامبريدج للأدب العربي**»، وظهر منه حتى الآن خمسة مجلدات ضخمة.

ط - السلاسل الخاصة بالمصطلح النقدي من مثل **سلسلة المصطلح النقدي** Critical Idiom التي كان يصدرها الناشر الإنكليزي "Methuen" والتي ترجم الدكتور عبد الواحد لؤلؤة عدداً لابأس به منها

ونشره في ثلاثة مجلدات؛ وسلسلة **المصطلح النقدي الجديد** The New Critical Idiom التي يصدرها الناشر الدولي **روتلدج** في كل من لندن ونيويورك ويحررها الباحث جون دراكاكيس من جامعة ستيرلنغ الانكليزية، والتي تخصص كتاباً لكل مصطلح نقدي رئيسي.

ي- الموسوعات العالمية الكبرى من مثل **الموسوعة البريطانية، والموسوعة العالمية، والموسوعة الأمريكية، وموسوعة لاروس** وغيرها في مختلف اللغات الرئيسية كالألمانية، والروسية، والإسبانية، والإيطالية، وغيرها، فضلاً عن الموسوعات العربية الواعدة.

وربما كان من المهم في هذا السياق التذكير بأنه ينبغي أن يقوم بإعداد مداخله باحثون عرب وأجانب من داخل الوطن العربي وخارجه من الثقات في مجال تخصصهم حتى لا تكون الحصيلة مسخاً ونسخاً لجهود الآخرين، أو البدء من نقطة الصفر(٤٣).

٣- **تحريره:** من الضروري أن تقوم على تحريره هيئة تحرير خبيرة بالتقاليد الأدبية والنقدية العربية والأجنبية القديمة والوسيطة والحديثة، ولاسيما تلك التي كان الأدب العربي على تواصل حميم معها في مختلف العصور والأمصار.

٤- **إصداره ونشره:** وينبغي أن تتولى إصداره والقيام على إعداده وتحريره ونشره مؤسسة عامة (جامعية، أو معجمية، أو ثقافية) تهمها قضية التفكير النقدي ومسألة تطويره ليسهم بدوره وعلى نحو فعّال في عملية الإنتاج الأدبي في المجتمع العربي الحديث. ولعله يحسن التذكير بضرورة تخزين مداخله في حاسوب تصمم برامجه لهذا الغرض بحيث يتيسر تنقيح

مواده وجعلها راهنة باستمرار. وكذلك فإن على هذه المؤسسة إذا ما أرادت نشره وإشاعته على أوسع نطاق أن تنشره في عدة طبعات (موسعة ومتوسطة وموجزة) يتوجه كل منها إلى شريحة معينة من القراء، وكذلك فربما تفكر في نشره منسوخاً على رقائق شافة مصغرة (أو ما يعرف بالميكروفيش)، أو على أقراص مدمجة تبعاً لحاجات قرائه واستجابة للتطورات التقنية المعاصرة.

وختاماً ينبغي التذكير بأن معجماً موسوعياً كالمعجم العربي الموحد لمصطلحات الأدب والنقد يجب أن تؤلف مداخله من منظور مقارن يأخذ بالحسبان فكرة مهمة جداً مفادها أن جميع الثقافات الإنسانية ثقافات مولّدة وأنها حصيلة شراكة معرفيّة بين الأمم والشعوب من مختلف الأمصار وعلى تعاقب العصور والأزمنة.

* * *

وبعد، فإن ما تقدم مجرد خطوط عامة يرجى لها أن تسهم في تمهيد الطريق نحو تأليف معجم عربي موحّد لمصطلحات الأدب والنقد، وهي حصيلة جهد فردي، وبالتالي فإنها اجتهاد فردي لابد من تصويبه وتسديده بتفكير الفريق، ويد الله مع الجماعة. وحين تنعقد النيّة ويتضح الهدف وتستقيم السبيل فإن الأمل سيثمر على حد تعبير الدكتور مطلوب[٤٤]. ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾.

* * *

حواشي

«نحو معجم عربي موحد لمصطلحات الأدب والنقد»

(١) انظر: **عدد خاص: ندوة المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم . مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية** بفاس، **جامعة سيدي محمد بن عبد الله**، العدد ٤، السنة ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م (٤٧٣ص)

وقد عاد صاحب هذه السطور إلى طبعة عام ١٩٩٣ من هذا العدد الذي تكرّم بإرساله الدكتور الشاهد البوشيخي **مدير «معهد الدراسات المصطلحية»**، جزاه الله عني كل خير.

(٢) انظر عرضاً لوقائعه في:

د. علي نجيب إبراهيم «**تقرير حول مؤتمر قضايا المصطلح**»، **مجلة باسل الأسد لعلوم اللغات وآدابها** (دمشق)، العدد الأول، تموز ١٩٩٨م، ربيع الأول ١٤١٩هـ، ص (١٤٩- ١٥٦).

(٣) انظر عرضاً لوقائعه في:

عبد القادر منلا «**مؤتمر قضايا المصطلح الأدبي، خطة باتجاه توحيد الوعي الثقافي العربي**»،

ملحق الثورة الثقافي (دمشق)، العدد ١١٦، الأحد ١٩٩٨/٦/٣١، ص(٤).

(٤) انظر على سبيل المثال، **عدد خاص: ندوة المصطلح النقدي...** ص ٤٧٠، و د. علي نجيب إبراهيم، «تقرير حول مؤتمر قضايا المصطلح» ص١٥٥.

(٥) انظر الطبعة الثانية منه، (دار القلم، القاهرة، ١٩٩٤) مع مقدمة جديدة .

(٦) (دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٢).

(٧) انظر **أخبار المصطلح** (فاس)، العدد الثاني، شعبان ١٤١٦هـ، يناير ١٩٩٦، ص٤، والعدد الثالث، شعبان ١٤١٧هـ، يناير١٩٩٧، ص٤.

(٨) انظر **الفكر العربي المعاصر** (بيروت) العددان ٤٨- ٤٩، كانون الثاني - شباط ١٩٨٨.

(٩) انظر المرجع السابق، ص ص ١٠٥ - ١٠٨.

(١٠) انظر **علامات في النقد الأدبي** (جدّة) / يونيو ١٩٩٣، المجلد الثاني، الجزء الثاني، محرم ١٤١٤هـ،

(١١) انظر د. عبد القادر القط، «قضية المصطلح في مناهج النقد الأدبي الحديث»، **المجلة العربية للعلوم الإنسانية** (جامعة الكويت)/ص ص (٩٦- ١١٥)، العدد ٤٨، السنة ١٢، صيف ١٩٩٤،

(١٢) انظر د. عبد النبي اصطيف «**نظرة في مصطلح النقد العربي الحديث والمؤثرات الأجنبية فيه**» **الوحدة** (باريس) السنة الثامنة، العدد ٩٧، تشرين الأول ١٩٩٢، ربيع الثاني ١٤١٣هـ، ص ص (١٣٨-١٤٥).

(١٣) (اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٧٩).

(١٤) (دار القلم، القاهرة، ١٩٩٣).

(١٥) (دار القلم، القاهرة، ١٩٩٤).

(١٦) (مؤسسات عبد الكريم عبد الله للنشر والتوزيع، تونس ١٩٩٤).

(١٧) انظر فاضل ثامر، **اللغة الثانية: في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث** (المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ١٩٩٤).

(١٨) (المركز الثقافي العربي، بيروت – الدار البيضاء، ١٩٩٤).

(١٩) انظر د. كمال أبو ديب، «مقدمة المترجم» في ادوارد سعيد،

الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء

نقله إلى العربية كمال أبو ديب، (مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٨١) ص ص (١– ٣٤) ولاسيما الصفحات من (٢١–٣٤) التي تضم ما سماه المترجم بـ «الكشاف المصطلحي»؛

وكذلك «مقدمة المترجم» في ادوارد سعيد،

الثقافة والإمبريالية، نقله إلى العربية وقدّم له كمال أبو ديب، (دار الآداب، بيروت، ١٩٩٧)، ص ص (٣٦– ٥٤)، و«الكشاف المصطلحي» ص ص (٣٩٣– ٤٠٥).

وانظر أيضاً تعليق الدكتور أحمد مطلوب على استعمال السوابق واللواحق في المصطلح في: **معجم النقد العربي القديم، الجزء الأول (أ– ذ)** . (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩)، ص (١٥).

(٢٠) يستند صاحب هذه السطور في هذه المعلومات إلى نشرة "**أخبار المصطلح**" التي يصدرها **معهد الدراسات المصطلحية**، ولاسيما الأعداد الثلاثة الأولى الصادرة في أعوام ١٩٩٥، و١٩٩٦، و١٩٩٧ على التوالي، فضلاً عن نشرة التعريف بالمعهد.

(٢١) (دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٥٩).

(٢٢) (مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٤).

(٢٣) **حوليات الجامعة التونسية**، العدد ١٥، ١٩٧٧، ص ص (١٢٥-١٥٦).

(٢٤) (مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٩).

(٢٥) (مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤)، الطبعة الثانية (منقحة ومزيدة).

(٢٦) (دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩).

(٢٧) (مطبوعات المكتبة الجامعية، الدار البيضاء، ١٩٨٤).

(٢٨) (دار الكتاب اللبناني، بيروت، وسوشبريس، الدار البيضاء، ١٩٨٥).

(٢٩) (المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، صفاقس/ تونس، ١٩٨٦).

(٣٠) (دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧).

(٣١) (الرياض، ١٩٩٥).

(٣٢) (الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ١٩٩٦).

(٣٣) (مطبوعات **المجمع العلمي العراقي**، بغداد، ١٩٨٣- ١٩٨٧).

(٣٤) انظر: د. أحمد مطلوب، **معجم النقد العربي القديم**، جزءان (دار الشؤون الثقافية، آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٩).

(٣٥) انظر: المرجع السابق، **الجزء الأول** (أ — ذ)، ص(٦)

(٣٦) المرجع السابق، ص (٦).

(٣٧) المرجع نفسه، ص (٧).

(٣٨) انظر: د. عبد النبي اصطيف، «المصطلح الأدبي في الثقافة العربية الحديثة: مشكلات الدلالة ومواجهتها»، **مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق** الجزء الأول من المجلد الخامس والسبعين صفحة ١١١.

(٣٩) انظر: د. أحمد مطلوب، **معجم النقد العربي القديم، الجزء الأول (أ – ذ)**، ص (٦).

(٤٠) المرجع السابق، ص ص (٢٧-٢٨).

(٤١) انظر عرضاً لها في:

د. عبد النبي اصطيف، «من موسوعات المصطلح الأدبي والنقدي»، **مجلة باسل الأسد لعلوم اللغات وآدابها** (دمشق) العدد الأول، تموز ١٩٩٨، ربيع الأول ١٤١٩هـ، ص ص(١٣١-١٣٦).

(٤٢) انظر:

A Dictionary of Cultural and Critical Theory,

Edited by Michael Payne

(Blackwell, Oxford, ١٩٩٦) .

(٤٣) ربما كان من الجدير بالذكر في هذا المقام أن محمد عزام قد أصدر عام ١٩٩٥ كتاباً عنوانه بـ «**مصطلحات نقدية من التراث الأدبي العربي**» نشرته له وزارة الثقافة والإرشاد القومي بدمشق في سلسلة **إحياء التراث العربي**، لا يميز فيه بين المصطلح النقدي والمصطلح البلاغي، وبينهما وبين المصطلح العروضي، ولا يشير فيه مطلقاً إلى أيٍ من معجمي الدكتور أحمد مطلوب المتقدم ذكرهما في هذا

البحث، على الرغم من وجود دلائل داخلية/ نصفية تشير إلى دينه الكبير لصاحبهما. ومن المؤسف أن هذا الكتاب لا يضيف جديداً إلى ما قدمه الدكتور مطلوب من خدمة جليلة إلى قرّاء العربية، ربما خلا النسخ والمسخ والتمويه على القارئ. ولكن القارئ الخبير قادر على تبين مقدار دين عزام المطلوب عندما يقارن بين معجمي الأخير، ومصطلحات عزام النقدية. وحال السيد محمد عزام هو حال من يعيد اختراع الطائرة في نهاية القرن العشرين دون أن يعلم بتاريخ تطور صنعها ولا بإسهامات الآخرين فيخرج على الناس بطائرة، ربما سبق لهم أن رأوا مثلها في متحف تاريخ الطيران.

(٤٤) د. أحمد مطلوب، **معجم النقد العربي القديم**، الجزء الأول (أ-ذ)، ص (٧).